٢ ـ من شجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

الشهر السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح

الملكة : أجاء ؟

سنجر : أجل

الملكة : فأد

خله ورحب بالوزير الشاعر

قد عاد آخر رسلنا ولعلنا

نُهدَى بأنباء الرسول الآخر

(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستعرة:

خيراً جمال الدين

ابن مطروح : خيرٌ لم يزل

يندَى على الستر الرفيع(١) الطاهر

الملكة : ماذا وراكَ ؟

ابن مطروح : تركت الأمّ عصبة(٢)

فكأنما خُلقوا بغير ضمائر

الملكة : صفْ ما رأيت وقائعاً ومشاهداً

وانقل لنا — لا تقتضب — ما قيلا

ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد

الملكة : ساقها

أخواك قبلك

ابن مطروح : فاسمعي التفصيلا

لم يكفهم عصيانهم وعروقهم

بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر .

(٢) إشارة الى أمراء الشام .

(الملكة في مصر)

أنمرضوا للصالحية(١) ؟

ابن مطروح : من نجوا

منهم تواروا في البلاد فسلولا

أخذوهمو والليل ضارب ستره

في غرة أخذا هناك وبيلا

الملكة : شرفا شيوخ الصالحية مصر ان

تقسى لكم ذاك الدم المطلولا —

من مات في شرف الجهاد فإنهُ

حيٌّ ، وأودى من يعيش ذليلا

(أقطاى في نفس)

يا ملكة الوادي جيوشك دوّخت

تلك البلاد وأهلها فتكاعسَ

في كلّ موضع حافرٍ من أرضهم

أثرٌ لخيلك بالفوارس ترتمي

الملكة : صبرا أمير الجند ، إن لم تُحسم الـ

أحداثُ بالحسنى إذن فتقدم —

إيهٍ جمالَ الدين فارجع للذى

تروى

ابن مطروح : نفضتُ لك الخطير

الملكة : فأتم

ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الجلى

الملكة : فما

ت الرأى

أقطاى : استبق الحوادث واعزى

ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا

وفداً بشكواهم إلى المستعصم(٢)

الملكة : أإلى الخليفة يُهرعون ؟!

ابن مطروح : أجل

أيبك : فما

يبغون ؟

(١) الصالحية : فريق نسب للملك الصالح من الموالين لشجرة الدر .

(٢) الخليفة ببغداد .

الملكة : يبغون اعتزالي فاعلم

أبيك : كيف السبيل ! ومصر حولك تفتدى
وتذود عن أستار عرشك بالدم
هذى بلادٌ نحن سادتها

الملكة : أصطنع
صبراً ولا يعجل لسانك تندم
(تبدو الملكة وكأنها عادت فالكت حاشها)
لو أنهم قصدوا الخليفة وحده
قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا
لكنهم ركنوا إلى أعدائنا
مستنصرين بهـــم ولم يتعففوا
(دهشة وتهامس من الجميع)

بيبرس : مولاتنا !

أيبك : إنى الذى قلت

الملكة : اعدأوا
هذا اليسير الزر مما نعرفُ

أيبك : هل حالفوا أعداءنا ؟

الملكة : بل أوقدوا
شعراءهم فتورددوا وتلطفوا

أيبك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه
عارٌ يجللهم فلا يتحرَّفُ

الملكة : إن كنت فى شك فهذى كتبهم
بالمخزيات وبالخيانة ترعفُ
وعدوا الفرنجة بعض مصرَ تقللهم
الله مانع مصر مهما ترجفوا
(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليها رجالها)

أيبك : أتأذنين ؟

الملكة : أجل

أيبك : فكيف استطعت أن
تصلى لهذى الكتب؛ هل نبأتنى؟
(الملكة بعد فترة صمت)
أفضت إلينا مرغريت مليكة الـ
ـافرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى
لم يُرضها أنى هتكت فأسرعت
وسعت إلينا بالدليل البين
فإذا بكتبهمو وتوقيعاتهم

أيبك : يا للخيانة والمذلة للمعز !

الملكة : لم تسألونى لم خصصتُ بذلك السر الخطير
أسراؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير
قالوا لهم حتام صبركم على ذل الدهور
ان تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكم الغير
فتبوا على مصرتهن، وتذلُّ فى الأمد القصير
قالوا وهل تقوى النساء على مصاولة الذكور

أيبك : أكذا ؟

الملكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى الزر اليسير
وعدوهمو جنداً يؤازرهم مؤازرةَ الظهير
من أجل ذاك رأيت يا أقطاى إطلاق الأسير
سيرون بأس الفانيات وبأس ربات الخدور

ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ

أيبك : أمنا مكرهم
إن لم نبت بضغائن وحقود
لو قد بقينا جبهة مصرية
لم نخش عادية الخطوب السود
أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى
شهدت مجالى نصرك المشهود
وبكل شبر من ثراها خالد
بدماء علج أو دماء شهيد
أقسمت لن تُجتاح مصرُ وأنت من
أبطالها فى شكة وجنود
(الملكة مخاطبة الموجودين)
سيجيئكم أمرى

بيبرس : أتأذن وبة الـ
ـتاج السنىُّ

الملكة : أذنت

بيبرس : عز مكانها

الملكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة
ونجاح كل سياسة كتمانها
عزيز أباظة